من غزل الملوك

قصيدة للسلطان سليم فاتح مصر

للأستاذ عبد الله مخلص

وقع في الكلمة التي نشرتموها في (العدد ٤٥٨) من (الرسالة) بعنوان «من غزل الملوك» بعض أغلاط مطبعية مثل «أن الرشيد أغار على أبيات ابن الحكم الأموي»؛ وصوابها «أن ابن الحكم الأموي أغار على أبيات الرشيد». كما أن عجز البيت الأول من أبيات المزدوجين لفظة الفاطمي: (تلك المحاجر «بالحاجر») صوابه: (تلك المحاجر «بالمعاجر»)

ورأيت بهذه المناسبة أن أبعث إليكم بقصيدة السلطان «سليم» التي اقتصرت على ذكر بيت واحد منها في تلك الصفحة، وهو ما كنت اطلعت عليه في المصادر التركية في ترجمة السلطان المشار إليه. أما القصيدة كلها، فقد عثرت عليها في مخطوط اقتنيته أخيراً اسمه «بستان العارفين ونزهة الناظرين» جمع الحاج أحمد بن حسن الشامي، ويقول: إنه شرع فيه وأتمه في جامع الصفاحية بحلب المحمية في سنة ١٠٤١ هـ:

البدر أشرق بالجمال عليهِ
والسلسبيل يسيل من شفتيه
والغصن نال اللين من عطفيه
قمر يصول ولا وصول إليه جرح الفؤاد بصارمَيْ لحظَيْهِ
وأحلّ في وسط الفؤاد مقامهُ
نشق الحبّ من الوشام خزامه
واقى بوصلٍ والجمال أمامه
ما قام معتدلاً يهزّ قوامه إلّا تهتّكتر الستور عليهِ
يمشي بعجبٍ في غلائل سندس
ألوانها كبنفسجٍ في نرجس
كأسي نديمي والمدامة مؤنسي
يا طيب ليلتنا ونحن بمجلس نهض الحبيب لنا على قدميهِ
شقّ القلوب بورده وشقيقهِ
ونما على عشاقه بعقيقه
وهما على كأساته برحيقه
يسقي المدامة من سلافة ريقه ويخصّنا بالسحر من عينيهِ
نلنا المسرّة ساعة بجواره
وقد ارتعينا للهنا في داره
وأعمنا من خمرة بعقاره
عيناه نرجسنا وآس عذاره وبحاننا والورد من خدّيهِ
الخال من مسكٍ يفوح بنده
يسطو عليّ بجزره وبمده
سعد السعود وفى إليّ بسعده
كتب المهيمن في صحيفة خدّهِ لاماً وعقرب فوقها صدغيهِ
جن الظلام على الضيا فتبسّما
والمسك في زهر الرياض تنسّما
نمّ العذار بخدّه فتحكّما
ما الشعر نمّ بعارضيه وإنما أصداغه جارت على خدّيهِ
لما أتى بجحافلٍ من جنده
فأردت رشف رحيقه من شهده
دبّ العذار على صحيفة خدّهِ
يا شعر في بصري ولا في خدّهِ إني أغار من النسيم عليهِ
ملك يحور على الملوك بظلمهِ
لم يخشَ من جور الزمان وجرمه
ناديتُ من فرط الهيام وغمّهِ
عجبي لسلطانٍ يعمّ بحكمه ويجور سلطان الغرام عليهِ
إني بأوصاف الحبّة عائذٌ
وبباب من أهواه شخصي لائذٌ
جيش المحبّة في فؤادي واقذٌ
والناس تحت يدي وحكمي نافذٌ وأنا وكلّ الناس طوع يديهِ
الطرف منّي في محبّته عمي
والدمع يجري في خدودي عندم
وعهوس مكةَ والحطيم وزمزم
لولا الإلهُ وحرّ نار جهنّمِ لسبدته وسجدت بين يديهِ!